الباب الخامس
عالم الغيب

الفصل الأول
الـمـلائـكـة

- وظيفة الملائكة .
- عصمة الملائكة .
- المفاضلة بين الملائكة والبشر .
- نتائج الفصل .

خص «الحليمي» كغيره من الباحثين الإيمان بالملائكة بشعبة مستقلة، ولم يجعله تابعاً للإيمان بالرسل، كما هو مقتضى ظاهر الآية الكريمة: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

غير أنه امتاز عليهم بإدراكه لاستقلالية هذا الأصل، فأيده بالدليل، واتخذه منهجاً له معللاً ذلك بما يلي:

الأول: اتباع منهج القرآن، فقد فصل الإيمان بهم عن الإيمان بالرسل في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[2].

الثاني: أن الملائكة ليسوا كلهم رسلاً، ولابد من الإيمان بهم جميعاً.

الثالث: أن الإيمان بالرسل من البشر: هو الاعتراف لهم بالرسالة، وأما الاعتراف بوجودهم فمما لا خلاف فيه بين المؤمنين والكافرين بهم على حد سواء. وإنما الاختلاف على تصديقهم في دعوى الرسالة.

أما الإيمان بالملائكة، فإنما يحتاج إلى الاعتراف بوجودهم أولاً، وهو ليس من إثبات الرسالة في شيء، ولذلك صار من الضروري أن يكون للملائكة شعبة سوى الإيمان بالرسل من البشر[3].

---

(1) الآية 75 من سورة الحج.

(2) الآية 285 من سورة البقرة.

(3) انظر: المنهاج في شعب الإيمان 1/ 316.

أولاً: وظيفة الملائكة:

ويدل على وجود الملائكة آيات كثيرة من كتاب الله، وما أكثر ذكر الملائكة في القرآن الكريم، واستقصاء ذلك يطول كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾[2].

وأن لهذه الملائكة منازل لا تتعداها إلى غيرها، لأنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما يقدره لهم الله ـ تعالى ـ والموت جائز عليهم، ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله ـ تعالى ـ وقد حدد القرآن دور الملائكة في هذا الكون: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[3] ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]. فأخبر بهذه الآيات عن منازل الملائكة، وبين أنه لا يجوز أن يقال عنهم: ولد الله، ولا بنات الله كما كان بعض العرب يقولون. ولذلك أنكر عليهم هذا القول بقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[5].

---

(1) الآية 30 من سورة البقرة.

(2) الآية 34 من سورة البقرة.

(3) الآية 171 من سورة النساء.

(4) الآيات 26 ـ 29 من سورة الأنبياء.

(5) الآية 19 من سورة الزخرف.

وإذا تأمل المتأمل ـ كما يقول «الحليمي» : وجد قول العرب هذا نازعاً إلى قول الأوائل[1] الذين يسمونهم ثوان، ويزعمون أنهم فاضوا عنه.

ثم إن العرب سمتهم أولاداً كما يقولون في كثير من الأشياء: تولد هذا عن هذا، وتجاوزت ذلك إلى تسميتهم بنات، على معنى أنهم محجوبون عن الأبصار، فهم كالمخدرات من الأولاد، وهن البنات، فرد الله ـ تعالى ـ ذلك كله عليهم، وأنكره، وأخبر أنه لا منزلة للملائكة إلا أنهم عباد مكرمون، وأبان عن فضل خشيتهم ورهبتهم له، ودل على أن كرامتهم عنده إنما هي لأجل طاعتهم له، ولو عصوه لعذبهم بالنار، وأن منهم رسلاً إلى البشر، ويجوز إرسال بعضهم إلى بعض. وفيهم حملة العرش، ومنهم الصافون حوله، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم قابضو الأرواح... وبصورة عامة فالملائكة هم أعظم جنود الله.

---

(1) يقصد بهم الفلاسفة الإسلاميينَ: الفارابي، وابن سينا، ومن سار على نهجهما: وهم القائلون بنظرية «الفيض والصدور» حيث يرون أن المبدأ الأول «الله» فاض من وجوده العقل الأول، وهو موجود قائم بنفسه، ليس بجسم ولا منطبع في جسم يعرف نفسه ويعرف مبدأه، وقد سميناه العقل الأول، ولا مشاحة في الأسماء، يسمى ملكاً أو عقلاً أو ما أريد... انظر تهافت الفلاسفة، للغزالي ص 145.

ثانياً: عصمة الملائكة:

اتفق جمهور المسلمين على أن الملائكة: أجسام لطيفة تظهر في صور مختلفة حسنة، وتقوى على أعمال شاقة، وهم عباد مكرمون يواظبون على الطاعة والعبادة ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة[1]، إذ لم يرد بذلك نقل، ولا دل عليه عقل. وإنما الكلام في عصمتهم، وفضلهم على الأنبياء.

الجمهور الأعظم من علماء الدين اتفقوا على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب متمسكين بالآيات الدالة على عصمتهم: من مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]. وهذا يتناول جميع فعل المأمورات، وترك المنهيات، لأن المنهيَّ عن الشيء مأمور بتركه. وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[3] ومن كان كذلك امتنع صدور المعصية منه.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[4] فهذا صريح في براءتهم من المعاصي، وكونهم متوقفين في كل الأمور على مقتضى الأمر والوحي الإلهي.

وأما النافون للعصمة فقد تمسكوا بوجوه منها:

1 ـ أن إبليس مع كونه من الملائكة بدليل استثنائه منهم، إذ الأصل في الاستثناء الحقيقي هو الاتصال، لأن الإخراج لا يتصور بدون الدخول، وأما المنقطع فيسمى استثناء بطريق المجاز.

---

(1) شرح المقاصد 5/ 63.

(2) الآية 49–50 من سورة النحل.

(3) الآية 20 من سورة الأنبياء.

(4) الآية 26–27 من سورة الأنبياء.

وأيضاً لو لم يندرج في الملائكة لم يتناول الأمر بالسجود، حتى إذا امتنع طرد ولعن، ومع ذلك امتنع عن السجود لآدم ـ عليه السلام ـ بدليل قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1] ولذا عوتب بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[2].

ورد بأن إبليس كان من الجن، وقد ورد القرآن بذلك صريحاً: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[3]. فدلالة الآية الأولى دلالة تضمنية، وهذه قد صرحت بأنه كان من الجن، ولا شك أن التصريح أبلغ في الدلالة على المعنى من التضمن. أضف إلى ذلك ما قيل: من أن إبليس ـ وإن كان من الجن ـ إلا أنه كان على صفة الملائكة في العبادة، ورفع الدرجة، فأمر الله الملائكة بالسجود، فكانَ إبليس داخلاً في المأمورين حقيقة، على سبيل التغليب للأكثر على الأقل، أو للأشرف على الأدنى. وعلى هذا فالاستثناء متصل لكونه داخلاً فيهم، لكن تسميته ملكاً مجازاً[4]. أو أن المأمورين بالسجود هم الملائكة والجن، إلا أنه استغنى عن ذكر الجن للقطع بأن أمر الأعلى يستلزم الأدنى، وعليه فإن الضمير في قوله: «فسجدوا» راجع إلى الفريقين، إلا أن هذا الجواب فيه شيء من التكلف، لأنه خلاف الظاهر.

2 ـ قولُ الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[5] في جواب قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[6] يدل على اغتياب من سيجعله الله خليفة له في أرضه، واستبعاد لفعل الله ـ تعالى ـ بحيث يشبه صورة الإنكار. كما يدل على الفخر وتزكية للنفس. واتباع للظن، ورجم بالغيب... وأمثال هذه الأشياء تخل بالعصمة. وأجيب عن هذا الاعتراض بوجوه:

---

(1) الآيتان 30، 31 من سورة الحجر.

(2) الآية 11 من سورة الأعراف.

(3) الآية 51 من سورة الكهف.

(4) تقريب العقائد النسفية. طاهر عبد المجيد. ص 235. بتصرف.

(5) الآية 30 من سورة البقرة.

(6) الآية 30 من سورة البقرة.

أولاً : إن قولهم «أتجعل» فيها . . . استفسار عن الحكمة الداعية إلى خلقهم، وليس إنكاراً على الله ـ تعالى ـ. فهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرف ما جهلوه، واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليس من الاعتراض والخصومة في شيء.

الثاني : إن الغيبة إظهار مثالب وعيوب المغتاب، والتزكية إظهار مناقب النفس، وذلك إنما يتصور لمن لا يعلمه. والله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك، فهو عالم بجميع الأشياء ما ظهر منها وما بطن، فلا غيبة في ذلك.

الثالث : إن قولهم ذلك لم يكن رجماً بالغيب، وإنما كان بإعلام من الله ـ تعالى ـ أو بواسطة الاطلاع على اللوح المحفوظ، أو مقايسة بين الجن والإنس، لاشتراكهما في الشهوة والغضب المفضيين إلى الفساد وسفك الدماء[1].

ثم إن الملائكة ـ بفطرتها البريئة ـ التي لا تتصور إلا الخير المطلق، والسلام الشامل ـ يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، هو وحده الغاية المطلقة للوجود، وهو وحده العلة الأولى للخلق، وهو متحقق بوجودهم، وهم يسبحون بحمد الله ويقدسون له، ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته آناء الليل والنهار!

لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا في بناء هذه الأرض وعمارتها. على يد خليفة الله في أرضه. هذا الذي قد يفسد أحياناً، وقد يسفك الدم أحياناً، ليتم من وراء هذا الشر الجزئي الظاهر خير أكبر وأشمل. خير النمو الدائم والرقي الدائم. خير الحركة الهادمة البانية. خير المحاولة التي لا تكف، والتطلع الذي لا يقف، والتغيير والتطوير في هذا الملك الكبير[2].

وأيضاً فإن الملائكة حين ورود الخطاب عليهم كانوا مجملين، وكان إبليس مندرجاً في جملتهم، فورد الجواب منهم مجملاً. فلما انفصل إبليس عن جملتهم بإبائه وظهور إبليسيته واستكباره، انفصل الجواب إلى نوعين: فنوع الاعتراض منه

---

(1) شرح المواقف. الشريف الجرجاني، 8/ 282. بتصرف. مرجع سابق.

(2) في ظلال القرآن. سيد قطب 1/ 56 ـ 57. مرجع سابق.

كان عن إبليس، وأنواع الطاعة والتسبيح والتقديس كان عن الملائكة. فانقسم الجواب إلى قسمين، كانقسام الجنس إلى جنسين، وناسب كل جواب من ظهر منه[1].

3 ـ قصة «هاروت» و«ماروت» وأنهما ملكان نزلا «بابل» لتعليم الناس السحر، وافتتنا بامرأة، فعذبا في الدنيا لهذه الجريمة، تدل على أنهم غير معصومين. وهذه قصة خرافية تنسب إلى الملائكة المكرمين الذين نص القرآن على نزاهة ساحتهم، وطهارة وجودهم عن الشرك، والمعصية. وهذه القصة تطابق ما عند اليهود. حيث إنهم يتداولون السحر بينهم، ويستندون في ذلك إلى قصتين: ينسبون إحداها إلى «سليمان» ـ عليه السلام ـ والأخرى إلى ملكين ببابل «هاروت» و«ماروت». وقد أبطل القرآن هاتين القصتين: فنفى عن «سليمان» ـ عليه السلام ـ أنه كان ساحراً ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[2] فهو يعد السحر واستخدامه كفراً ينفيه عن «سليمان» ويثبته للشياطين.

فـ«سليمان» أعلى مقاماً، وأقدس ساحة من أن ينسب إليه السحر والكفر، فهو نبي من أنبياء الله معصوم من الصغائر فضلاً عن الكبائر.

كما نفى الكفر عن الملكين، فإنهما وإن نزل عليهما السحر، إلا أنهما ما كانا يعلمان من أحد إلا ويقولان له: إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر في غير مورده من إبطال للسحر وكشف عن بغي أهله[3].

ثم إن الحكمة من تعميم تعليم السحر: أن السحرة في «بابل» كانوا قد اتخذوا السحر وسيلة لتسخير العامة لهم في أبدانهم وعقولهم وأموالهم، ثم تطلعوا منه إلى تأسيس عبادة الأصنام والكواكب، وزعم السحرة أنهم ناطقون بإرادة الآلهة.

---

(1) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 1/ 232.

(2) الآية 102 من سورة البقرة.

(3) انظر: الميزان في تفسير القرآن. محمد الطباطبائي، 1/ 234 ـ 236. بتصرف. الطبعة الخامسة 1403هـ ـ 1883م. منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. لبنان.

فحدث فساد عظيم، وعمت الضلالة. فأراد الله ـ على حكمته ـ إنقاذ الخلق من ذلك، فأرسل «هاروت» و«ماروت» وألهمهما أن يكشفا دقائق هذا الفن للناس، ليعلموا أن السحرة ليسوا كما يدعون.

أو أن «التعبير بالملكين» من قبيل الاستعارة، وإنما هما رجلان صالحان، حكما مدينة «بابل»، وكانا قد اطلعا على أسرار السحر التي كانت تأتيها السحرة، أو هما وضعا السحر، ولم يكن فيه كفر، فأدخل عليه الناس الكفر بعد ذلك، ويؤيد هذا القول قراءة الملكين بالكسر[1].

ومما يؤسف له أن هذه القصة قد تسربت إلى بعض كتب التفسير، إلا أن المحققين من علماء التفسير أشاروا إلى أنها مختلقة لا أساس لها من الصحة، وأنها من مرويات «كعب الأحبار» فهي من الإسرائيليات التي تسربت إلى بعض كتب التفسير القديمة[2].

وينقل «الحليمي» تقسيماً طريفاً في هذا الموضوع، ولكنه لم ينسبه إلى قائل: أن الأحياء العقلاء الناطقين فريقان: إنس وجن، وكل واحد من الفريقين صنفان: أخيار وأشرار. وأخيار الإنس يدعون أبراراً. ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل. وأشرارهم يدعون فجاراً. ثم ينقسمون إلى كفار وغير كفار. وأخيار الجن يسمون ملائكة، ثم ينقسمون إلى رسل وغير رسل. وأشرارهم يدعون شياطين. ثم قد يستعار هذا الاسم لفجار الإنس تشبيهاً لهم بأشرار الجن.

ثم يقول: وقد يحتمل هذا التقسيم وجهاً آخر: وهو أن الجن منهم سكان الأرض، ومنهم سكان السماء. فسكان السماء: يدعون الملأ الأعلى. وسكان الأرض: هم الجن بالإطلاق، وينقسمون إلى أخيار وأشرار، ومؤمنين وكافرين.

---

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور 1/ 618 ـ 619. بتصرف. الطبعة الأولى، 1384هـ ـ 1964م. عيسى البابي الحلبي.

(2) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 1/ 527 ـ 528. مرجع سابق.

وإبليس كان من الملائكة بدليل استثنائه منهم، لكنه لما عصا وخالف، لعن وأهبط إلى الأرض، فصار من الجن الذين يسكنون الأرض، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾[1]. فهو كالعدل من الإنس. يفسق أو يرتد، فيدعى فاسقاً أو كافراً، بعد أن كان يسمى عدلاً مؤمناً.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا ﴾[2] رداً على ما زعمته العرب - في الجاهلية - من أن الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وأيضاً فإن الملائكة محجوبون، فيصدق عليهم اسم الجن بخلاف الإنس. كما أن الله - سبحانه وتعالى - لما صنف الخلائق قال: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾[3] فلو كانت الملائكة صنفاً ثالثاً - وهو أشرف - لما كان يدع المدح بالقدرة على خلقه، ويذكرنا ما دونه[4].

ثم يشرع «الحليمي» في إبداء وجهة نظره في هذه القضية، مثبتاً التفريق بين إبليس والملائكة، ومفنداً للرأي السابق فيقول: ومن خالف هذا القول قال: إن سكان الأرض ينقسمون إلى إنس وجن. وسميت الجن بهذا الاسم، لأن الإنس لا يرونهم، مع أن بعضهم يرى بعضاً. ولما كانت الإنس والجن تجمعهم بقعة واحدة احتيج إلى التمييز بينهما، بخلاف الملائكة فإنهم في غاية البعد عنهم.

واستدل على ذلك: بأن الله - عز وجل - لما أمر الملائكة أن يسجدوا لـ «آدم» - عليه السلام - فسجدوا إلا إبليس. أخبر الله عن سبب مفارقته الملائكة فقال: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[5].

---

(1) الآية 51 من سورة الكهف.

(2) الآية 158 من سورة الصافات.

(3) الآيتان 14، 15 من سورة الرحمن.

(4) انظر: المنهاج في شعب الإيمان 1/ 305 - 306. بتصرف.

(5) الآية 50 من سورة الكهف.

فلو كانوا كلهم جناً، لاشتركوا في الامتناع عن السجود، ولم يكن في أن إبليس كان من جملة الجن ما يحمله عن الامتناع على السجود، وفي هذا ما أبان أن الملائكة والجن فريقان مختلفان.

وإنما دخل إبليس في الأمر الذي خوطبت به الملائكة، لأن الله ـ تعالى ـ قد أذن له في مساكنة الملائكة، ومجاورتهم لحسن عبادته وشدة اجتهاده، فجرى في عدادهم... فلما أمرت الملائكة بالسجود لآدم دخل في الجملة الملك الأصيل والملحق بهم. غير أن مفارقته الملائكة في أصل الجبلة، حملته على مفارقتهم في الطاعة... فرده الله بعد ذلك إلى مساكن جنسه، وأخرجه من السموات، فصار عند الإقصاء شيطاناً، كما كان عند الإدناء ملكاً.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾[1] فإن الإشارة كما يحتمل أن تعود إلى قول الكفار: الملائكة بنات الله. يمكن أن تعود إلى قول مشركي العرب: الأصنام بنات الله، وأنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى، ولذلك سموها: «اللات» و«العزى» و«مناة». وذلك حين كان شياطين الجن يدخلون أجوافها، ويكلمونهم منها، فكانوا ينسبون ذلك الكلام إلى الله تعالى... وسموا الأصنام آلهة، وادعوا أنها بنات الله، فأثبتوا بين الله ـ تعالى ـ وبين الجنة نسباً، جهلاً منهم، بأن الكلام الذي يسمعونه إنما هو كلام الشياطين، وليس كلام الله جل ثناؤه، وليس هذا الوجه في الظهور دون الأول. وأما قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[2]. فإنما هو لبيان ما ركبه من خلق متقدم، فلم تدخل الملائكة في ذلك لأنهم مخترعون. قال لهم الله: كونوا، فكانوا. كما قال للأصل الذي خلق منه الإنس، والأصل الذي خلق منه الجن، وهو التراب، والماء، والنار: كن فكان.

---

(1) الآية 158 من سورة الصافات.

(2) الآيتان 14، 15 من سورة الرحمن.

فكانت الملائكة في الاختراع كأصول الإنس والجن لا كأعيانهم، فلذلك لم يذكروا معهم[1]. ولم يذكر «الحليمي» دليلاً على هذه الدعوى.

ولعل النص الذي ذكره «البيهقي»[2] يحل هذا الإشكال. فقد ذكر حديثاً رواه «مسلم» عن «عائشة» أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[3]. فالفصل بينهما في الذكر، يدل على أنه أراد نوراً آخر غير نور النار.

ومما يدل على أن مباينة الجن للملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[4]. فثبت بهذا أن الملائكة غير الجن، إذ لو كانت الملائكة جناً لم يخل عبادهم من أن يكونوا عباداً للملائكة. فلم يكن لقول الملائكة: إنهم كانوا يعبدون الجن ولا يعبدوننا معنى[5].

---

(1) انظر: المنهاج 1/ 306 ـ 308. بتصرف.

(2) شعب الإيمان، 1/ 167، 168. مرجع سابق.

(3) كتاب الزهد. باب في أحاديث متفرقة. حديث رقم 2996. سلم 4/ 2294.

(4) الآيتان 40، 41 من سورة سبأ.

(5) المنهاج في شعب الإيمان 1 م 306 ـ 309. بتصرف.

ثالثاً: المفاضلة بين الملائكة والبشر:

أما بالنسبة إلى موضوع المفاضلة بين الملائكة والبشر، فقد انقسم الباحثون فيه إلى فريقين: ذهب فريق إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة.

وذهب فريق آخر - وعلى رأسهم «الحليمي» - إلى أن الملأ الأعلى مفضلون على سكان الأرض. واستدلوا على ذلك بعدة وجوه:

1 - قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[1]. فبدأ في نفي الاستنكاف من العبودية لله - تعالى - بالمسيح، ثم ثنى بالملائكة المقربين، فدل ذلك على أن الملائكة أرفع قدراً، وأعلى رتبة. حيث ثبت من طريق الاستعمال اللغوي أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه، وإلا كان في نفي ما نفي عن المسيح دلالة على أن من دونه بانتفاء ذلك عنه أولى. فهو من تحصيل الحاصل. فلذلك صار وجه الكلام أن يبدأ في مثل هذا بالأدنى، ثم يثني بالأعلى، ولذلك حسن أن يقال: لن يأنف الكاتب أن يدعى خادماً للأمير ولا الوزير[2].

وقد أجيب عن هذا الوجه بجوابين:

الأول: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته، وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، و«عيسى» لم يستنكف عنها. ولا من هو أقدر منه، وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة[3].

---

(1) الآية 171 من سورة النساء.

(2) انظر: المنهاج 1/ 309. بتصرف.

(3) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. صدر الدين أبو العز الحنفي. ص 244. دار التراث. القاهرة.

الثاني: أن النصارى استعظموا المسيح لما رأوه قادراً على إحياء الموتى، ولكونه بلا أب، فأخرجوه عن كونه عبداً لله، وادعوا له الألوهية. والملائكة فوقه فيهما: فإنهم قادرون على ما لا يقدر عليه، ولكونهم بلا أب، ولا أم، فإذا لم يستنكفوا عن العبودية، ولم يصر ذلك سبباً لادعائهم الألوهية، فالمسيح أولى بذلك، وليس ذلك من الأفضلية التي نحن بصددها[1].

2 ـ أخبر الله عن «آدم» و«حواء» أنه نهاهما عن الأكل من الشجرة، فغرهما الشيطان، وقال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[2]. فلو لم يعلم «آدم» ـ عليه السلام ـ أن الملائكة أفضل من البشر، لما استطاع إبليس أن يغريه بأن شبه عليه أنه نُهِيَ عن أكل الشجرة، لئلا يكون ملكاً، وفي نفاذ الغرور عليه من هذا الوجه، ما دل على أن الملك كان عند «آدم» أفضل من البشر[3].

والجواب: أنهما رأيا الملائكة أحسن صورة، وأعظم خلقاً، وأكمل قوة منهما، مما جعلهما يتمنون هذا الكمال، فخيل إليهما أنه الكمال الحقيقي، والفضيلة المطلوبة[4].

أو أن هذا التفضيل على «آدم» ـ عليه السلام ـ قبل النبوة، وإلا فأنى يتصور من النبي الجهل بهذه المسألة، حتى يتخيل كلام الشيطان حقاً[5].

3 ـ إن الله جعل الملائكة شفعاء لبني آدم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[6].

---

(1) شرح المواقف، السيد الشريف الجرجاني. 8/ 287. مرجع سابق.

(2) الآيتان 20، 21 من سورة الأعراف.

(3) المنهاج 1/ 310.

(4) شرح المواقف، السيد الشريف الجرجاني. 8/ 286. المنهاج 1/ 310.

(5) حاشية حسن جلبي على شرح المواقف، 8/ 287.

(6) الآية 7 من سورة غافر.

ومعلوم أن استغفار الملائكة لبني آدم، ليس لحق لهم قبل الملائكة، فيقضونه بالاستغفار لهم، كاستغفار الولد لأبويه، ولا هو على معنى التعاون، كاستغفار بني آدم بعضهم لبعض، لأنهم يستغفرون لبني آدم، ولا حاجة بهم إلى أن يستغفر بنو آدم لهم. فصح أنه من جنس الشفاعة منهم لبني آدم، كاستغفار النبي لأمته. وفي ذلك ما يتأول على أنهم أفضل من الذين يستغفرون لهم. كما أن كل نبي أفضل من أمته[1].

4 ـ أن الله ـ تعالى ـ جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم، فإذا ثبت تفضيل الأنبياء المرسلين على المرسَل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة على الأنبياء، فإن الرسول الملكي يكون رسولاً إلى الرسول البشري. وهذا من أقوى الأدلة في هذا الموضوع.

والجواب: أن هذه ليست قاعدة مطردة كلية، وإلا لزم أن يكون واحد من آحاد البشر إذا أرسله ملك إلى ملك آخر. كان أفضل من الملك المرسل إليه، وهو باطل قطعاً[2].

5 ـ أن الله ـ تعالى ـ سمى الملائكة «الملأ الأعلى» وفى ذلك معنيان:

أ ـ أن الملأ في اللسان[3] هم العظماء والأشراف، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[4] أي من كبراء قومه...

فلما سمى عز وجل عامة الملائكة: بالاسم الموضوع للعظماء، دل ذلك على أنه إنما أطلق عليهم ذلك الاسم، لأنهم بالقياس إلى سكان الأرض أكبر وأعظم، وليس فيهم من ينحط قدره عن أحد من أهل الأرض.

---

(1) المنهاج 1/ 310، بتصرف.

(2) شرح المواقف، 8/ 288.

(3) الملأ: الجماعة، وقيل أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم، الذين يرجع إلى قولهم. انظر: لسان العرب لابن منظور، 1/ 159. الطبعة الثالثة. 1414هـ ـ 1994م. دار صادر بيروت. الناشر: دار الفكر العربي.

(4) الآية 83 من سورة يونس.

ب ـ أنه نسبهم إلى العلو دلالة بذلك على فضلهم، وتنبيهاً على علو قدرهم، لأنه لا شك أن السماء أفضل من الأرض... فإذا كان الله هو الذي أسكن الملائكة السماء، والبشر الأرض، فلم يكن ليسكن أفضل المكانين أدون الخليقتين، ولا أدونَ المكانين أعلى الخليقتين، وفي هذا دليل على أن الملائكة أفضل من البشر[1].

6 ـ أن التقيَّ من البشر أفضل من الذي يخلط العمل الصالح بالسيئ، والملائكة كلهم يخلصون الطاعات، ولا يخلطونها بشيء من المعصية. والأتقياء من البشر إن عصموا من الكبائر، فقد لا يعصمون من الصغائر، وإن سلموا من الفعل، فقد لا يسلمون من الهمِّ.

وقد أخبر الله عن الملائكة بأنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2] وأتقياء البشر إن سلموا من الكبائر والصغائر، فليس أحد منهم يعبد الله دائماً. بخلاف الملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[3] فيجب على هذا أن يكونوا أفضل من البشر[4].

والجواب: أن هذا لا يمنع كون أعمال الأنبياء أفضل، وأكثر ثواباً، لجهات أخر، كقهر المضاد والمنافي، وتحمل المتاعب والمشاق... ونحو ذلك[5].

7 ـ أن الملائكة معلمو الأنبياء، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[6] ورتبة التعليم لا تقصر عن رتبة التعلم، لكنها تعلوها وتفضلها، لأن التعليم إعطاء، والتعلم قبول، والإعطاء فوق القبول، فيكون المعلم أفضل من المتعلم[7]، والجواب: أن

---

(1) المنهاج 1/ 311.

(2) الآية 6 من سورة التحريم.

(3) الآية 20 من سورة الأنبياء.

(4) المنهاج 1/ 311.

(5) شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، 5/ 72.

(6) الآية 5 من سورة النجم.

(7) المنهاج 1/ 313.

ذلك بطريق التبليغ، والمعلم هو الله ـ تعالى ـ، وإسناد التعليم إليهم من قبيل المجاز العقلي[1].

8 ـ ومما يدل على فضل الملائكة: أن الله جعل دخولهم على بني آدم في الجنة، وتسليمهم عليهم من جملة الثواب الذي وعدهم به لحسن أعمالهم، فقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[2] فلو كانت الملائكة دونهم لم تكن زيارتهم إليهم نعمة، فيحتاج في التوصل إليها إلى ترك الشهوات، واجتهاد النفس في الصالحات، فدل ذلك على أن الملائكة أفضل، وأرفع قدراً، وأن زيارتهم للذين يزورونهم زائدة في أقدارهم معلية لرتبهم[3].

وبعد أن استعرض «الحليمي» الأدلة والبراهين التي تؤيد وجهة نظره في هذه القضية، شرع في الحديث عن أدلة المثبتين لتفضيل الأنبياء على الملائكة، محاولاً توجيهها بما لا يتعارض مع مذهبه:

1 ـ أن الله ـ تعالى ـ أمر الملائكة بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ مما يدل على أنه كان أفضل منهم. لأن الحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للأدنى، وإباء إبليس واستكباره يدل على أن المأمور به كان سجود تكرمة وتعظيم.

وأجاب «الحليمي» عن ذلك بعدة وجوه:

أ ـ أن معنى قوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[4] أي اسجدوا مستقبلين وجه «آدم» وهذا له نظير في القرآن الكريم: من مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[5] أراد به: أقم الصلاة لي عند دلوك الشمس. وكذلك الحال بالنسبة

---

(1) شرح المواقف، الشريف الجرجاني، 8/ 287 ـ 288.

(2) الآيتان 23، 24 من سورة الرعد.

(3) انظر: المنهاج في شعب الإيمان 1/ 315.

(4) الآية 34 من سورة البقرة.

(5) الآية 78 من سورة الإسراء.

لآدم. فمعنى قوله تعالى: ﴿ فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1] يعني: فقعوا إليَّ عند إتمام خلقه، ومواجهتكم إياه ساجدين.

ويدل على ذلك ما رويَ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا سجد ابن آدم قال الشيطان: أمر ابن آدم بالسجود، فأطاع، فله الجنة، وأمرت بالسجود، فعصيت فلي النار»[2]، ومعلوم أن ابن آدم لم يؤمر بالسجود إلا لله ـ تعالى ـ.

وعليه فإن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة، وانقياداً وطاعة له، وتكريماً لآدم وتعظيماً له، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود «يعقوب» لابنه «يوسف» ـ عليهما السلام ـ تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم، بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم.

ب ـ وأما امتناع إبليس فإنه عارض النص برأيه، وقياسه الفاسد: بأنه خير من آدم، وهذه المقدمة الصغرى، وكبرى القياس محذوفة تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول. وكلتا المقدمتين فاسدة. أما الأولى فإن التراب يفوق النار في أكثر صفاته، فإن من صفات النار: طلب العلو والخفة، وإفساد ما تصل إليه وإحراقه... وعلى العكس من ذلك التراب: فهو يتميز بالثبات والسكون... وما دنى منه ينمو ويزكو ويبارك فيه.

وأما الكبرى: فإن السجود طاعة لله ـ تعالى ـ وامتثال لأمره، ولا يلزم من ذلك أن المسجود إليه أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه.

جـ ـ وقد ذكر «الحليمي» احتمالاً آخر: وهو أن الله ـ تعالى ـ أمر الملائكة بالسجود لآدم، معاقبة لهم عن قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

---

(1) الآية 72 من سورة ص.

(2) أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد، 2/ 284. كتاب: الصلاة. باب سجود التلاوة، عن أنس وعزاه الهيثمي إلى البزار وفيه كنانة بن جبلة، وثّقه أبو حاتم وضعفه غيره، وسهل بن أبي حازم، وثقة ابن معين وضعفه جماعة.

ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1] لما قال لهم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] فأمرهم بالسجود له عقوبة لهم على ذلك الاعتراض فلا يلزم من هذا تفضيل «آدم» عليهم[3].

وهذا الاتجاه عند «الحليمي» نابع من موقفه من أن للملائكة إرادة واختيار، وليست مجبولة على الطاعة كما يقول غيره.

يقول «الحليمي»: وجود الخلاف فيهم أمر ممكن - عندنا - وقد كان ذلك فيما اقتصه الله علينا في شأن «آدم» إلا أنهم تابوا بعد، ورجعوا إلى ما كان أولى بهم، فثبت أنهم مختارون للطاعة على المعصية، بفضل ما عندهم من المعرفة، وفي أنفسهم من المخافة، وتلك الطاعة لهم عبادة[4].

2 - أن الملائكة لهم عقول، وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل من الملائكة.

وأيضاً فإن الناس يكابدون المشاق من الحج، والجهاد، والهجرة، والتعليم، والتأدب، والعفة ما لا تكابده الملائكة، فلا يجوز أن يقطع بفضل الملائكة عليهم. ورد ذلك بأنه يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة، وتحمل العبادة مع طول مدة عبادتهم، ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم.

ونزول الملائكة من السماء إلى الأرض لا يقل عن حج الحجاج. وإقامتهم في الأرض لنسخ الأعمال لا يقل عن هجرة البشر.

وقد جاهدوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أمروا بالجهاد. وإذا لم يجاهدوا، فإن ذلك راجع إلى كونهم لا عدو لهم من جنسهم. فالفريقان من هذا الوجه سواء.

---

(1) الآية 30 من سورة البقرة.

(2) الآية 30 من سورة البقرة.

(3) المنهاج 1/ 314.

(4) انظر: المنهاج في شعب الإيمان 1/ 232.

وأما التأدب والتعلم، فلا حاجة بالملائكة إليه، لأنهم خزنة كتب الله، وحملة وحيه، يضاف إلى ذلك أن الملائكة مكلفة بأعمال لا يقوى البشر عليها: مثل نسخ الأعمال، وقبض الأرواح، وسوق السحاب... ونحو ذلك[1].

3 ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]. يدل على تفضيل البشر، لأن (من) اسم لمن يعقل، فثبت أنهم مفضلون على غيرهم من العقلاء وهم الملائكة.

والجواب: أن العقلاء سوى بني آدم ليسوا الملائكة فقط، ولكن الجن أيضاً يشاركونهم في العقل، فإذا وجبت لهم الفضيلة على الجن، فقد وفت الآية حقها ـ علماً بمقتضى التبعيض ـ إذ ليس في الآية أنهم مفضلون على جميع من خلق، وإنما فيها أنهم مفضلون على كثير منهم. بل في الآية دليل على فضل الملائكة عليهم، لأن العقلاء ثلاثة أصناف: الملائكة، والإنس، والجن. وإذ كان الإنس أفضل من الجن بلا خلاف، ثبت أن غير الكثير هم الملائكة فلا يكون الإنس أفضل منهم[3].

4 ـ ما روى عن «ابن عباس» أنه استدل على تفضيل البشر: بأن الله ـ تعالى: ـ أقسم بحياة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4]. وأمنه من العذاب بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[5]. وقال للملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾[6].

والجواب: أن الله كما لم يقسم بحياة الملائكة، لم يقسم بحياة نفسه، فإنه لم يقل: لعمري، ولا قال بحياتي، ولا يدل ذلك على أن حياة النبي ـ صلى الله عليه

---

(1) انظر: المنهاج 1/ 312، 313.

(2) الآية 70 من سورة الإسراء.

(3) المنهاج 1/ 314، 315. بتصرف.

(4) الآية 72 من سورة الحجر.

(5) الآية 2 من سورة الفتح.

(6) الآية 29 من سورة الأنبياء.

وسلم ـ أجل قدراً من حياته تعالى. وأقسم بالسماء والأرض، ولا يدل ذلك على أنهما أرفع قدراً من العرش والكرسي، والجنان السبع التي لم يقسم بها.

وأما قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾[1] فهو نظيرُ قوله[2] للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

وهاتان الآيتان، وما اشتملتا عليه من وعيد وإنذار لأكرم خلق الله على الله، إن هم وقعوا في الشرك، مع علمه تعالى، بأن ملائكته ورسله معصومون بعصمة إلهية، يمتنع معها أن يتطرق طائف الشرك إلى قلوبهم أبداً لم يقصد بهما حقيقة الوقوع في الشرك، وما يترتب على ذلك من تبعات، وإنما هو على سبيل الفرض والتمثيل، وذلك لتفظيع أمر الشرك، وتعظيم شأن التوحيد. ثم هو إنذار لمن دونهم من العقلاء لإرشادهم إلى طريق الحق والصواب وإبعادهم عن مهاوي الشرك ومحاذيره.

فلا دلالة في الآيتين على التفضيل المقصود.

اقتصر «الحليمي» على هذه الأوجه الأربعة من أدلة القائلين: بتفضيل الأنبياء على الملائكة، وقد أضاف غيره[4] إليها أوجهاً أخرى ولكنها ـ أيضاً ـ لا تدل على المدعى دلالة قطعية، فهي قابلة للتأويل.

ومن هنا يمكن القول: بأن دعوى التفضيل ينقصها الدليل القاطع عند الطرفين، وما ذكره كل فريق من الأدلة، لإثبات مدَّعاه لا يسلم من النقد والتأويل. والحق أن البحث في هذا الموضوع غير ذي جدوى، إذ غايته الوصول إلى الحقيقة.

---

(1) الآية 29 من سورة الأنبياء.

(2) المنهاج 1/ 315، 316.

(3) الآية 65 من سورة الزمر.

(4) انظر مثلاً: شرح المواقف 8/ 283 ـ 285. وشرح المقاصد 5/ 65 ـ 67.

والواجب علينا: الإيمان بالملائكة والأنبياء من غير اشتراط أن نعتقد أي الفريقين أفضل، والأولى السكوت عن هذه المسألة لتكافؤ الأدلة. ولهذا نرى كثيراً من الباحثين ـ في هذا المجال ـ عدل عن فكرة الخوض في قضية المفاضلة هذه.

وقد عقب «البيهقي» على الموضوع بقوله: ذكر «الحليمي» توجيه القولين، ولم أنقله، واختار تفضيل الملائكة، وأكثر أصحابنا ذهبوا إلى تفضيل الأنبياء، والأمر سهل، وليس فيه من الفائدة سوى معرفة الشيء على ما هو به[1].

---

(1) شعب الإيمان 1/ 182. مرجع سابق.

نتائج هذا الفصل

1 ـ موقف «الحليمي» في تفضيل الملائكة على الأنبياء نابع من شرف الأعلى على الأدنى.

2 ـ المفاضلة بين الملائكة والأنبياء من الموضوعات التي يصعب الوصول فيها إلى رأي قاطع، لافتقادها إلى الدليل المرجح لأفضلية أحد الطرفين على الآخر.

3 ـ البحث في موضوع «المفاضلة» هذه «نوع من الترف الفكري الذي لا طائل من ورائه، لقلة ثمرته، وأنه قريب مما لا يعني المسلم» و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

4 ـ يرى «الحليمي» أن للملائكة حرية واختياراً، فليست مجبولة على الطاعة، ومن ثم كان موقفهم من خلق آدم ـ عليه السلام ـ نوعاً من الاعتراض، إلا أنهم عادوا إلى رشدهم، واختاروا الطاعة والانقياد لله تعالى.

5 ـ يلاحظ هنا أن «الحليمي» قد عدل عما درج عليه في أبحاثه السابقة من عدم الخوض في الخلافات الجزئية في مسائل العقيدة.

وأعتقد أنه لم يوفق في الوصول إلى نتيجة مقنعة، نظراً لدقة الموضوع، وقلة العائد من ورائه.

---

(1) سنن الترمذي. كتاب الزهد. (11) من حديث أبي هريرة. وقال: هذا حديث غريب. الجامع الصحيح، 3/ 558. تحقيق أحمد شاكر. الطبعة الثالثة (1397هـ ـ 1977م) مصطفى البابي الحلبي. حديث رقم (2317).